Herbert Mason (Editor), Reflections on the Middle East Crisis (The Hague, Mouton, 1970).

هناك ملحوظة في بداية هذه المجموعة من المقالات المتعلقة بالقضية الفلسطينية تقول : « لا يود احد من كاتبي مقالات هذا الكتاب ممن يمكن ان يثيروا اي انتقاد ان يفسر هذا الانتقاد او يستخدم كموقف ضد وطنه او بلده او شعبه ؛ او ان يستخدم لدعم الموقف الحزبي لاي كان . » ولا شك ان مثل هذه الامنية هي موضع ثناء وتقدير ، ولكن الاهم من ذلك ، بالنسبة للكتاب الذي بين ايدينا ، هو انه يمكن قبول هذه الامنية بسهولة وذلك لان ايا من المقالات الممتازة التي يضمها بين دفتيه بعيدة كل البعد عن اغراض الدعاية الرخيصة ، كما هو الحال بالنسبة لعدد من الكتابات عن فلسطين . ولهذا السبب ، ان لم يكن هناك سبب غيره ، من المستحسن كثيرا ان يكون هذا الكتاب موضع اهتمام القراء الدارسين .

يشير هيربرت ماسون ، محرر الكتاب ، الى ان « جزءا من موضوع الكتاب هو ان عاطفتنا بالنسبة لهذه القضية كانت في الاتجاه الخاطىء ، وان جزءا من غرض الكتاب هو المساهمة في تهدئة هذه العاطفة ليس عن طريق عرض موقف مغلف بـ « الموضوعية » ، ولكن بعرض معلوماتنا عن تاريخ العلاقات العربية — اليهودية واعتقادنا بامكانية ترجمة العاطفة الى تعاون كسبيل للخروج من حلقة الحروب . وكانت عاطفتنا في الاتجاه الخاطىء لانها وظفت في خدمة موقف سلبي، خاطىء في حد ذاته ، ولكنه في مثالنا هذا خطير بشكل خاص بالنسبة لاولئك الذين نرتبط بهم نفسيا — اي الاسرائيليين . وبسبب شعور غالبية شعوب البلدان الغربية بالذنب نتيجة للمذابح التي ارتكبتها حكوماتهم ضد اليهود، وبسبب قوة اليهود ونفوذهم في هذه المجتمعات ، وبسبب الاعجاب المتناهي بالتقدم الذي حققته اسرائيل ، الدولة الغربية الجديدة ، حولت هذه الشعوب كثيرا من خوفها من اجل البقاء الى مرآة واحد وعشرين سنة من تاريخ اسرائيل . »

تلاحظ ايرين جينزبر في مقالتها الرائعة « رسالة الى صديق : مقالة عن الامل من اجل السلام » ، ان « مأساة المعضلة الفلسطينية — الاسرائيلية ليست في ان الذين لم يفنوا في معسكرات الاعتقال الاوروبية جاؤوا الى فلسطين ، بل هي ان خلق وطن لشعب ما ادى في نهاية المطاف الى حرمان شعب آخر من ارضه ، الارض نفسها . » ويعترف جميع الذين ساهموا في هذا الكتاب بهذا الوضع المأساوي ويتفقون جميعا على وجوب استخدام اللاعنف كوسيلة لوضع حد لهذه الحلقة المفرغة الرهيبة . ويرى المحرر ، كما يرى غيره من الكتاب ، ان هذه « الوسيلة » هي تغيير هوية اسرائيل ، اي قبول اسرائيل اعادة توطين الفلسطينيين العرب ، الذي يطلق عليهم اسم « اللاجئين الفلسطينيين » ، الامر الذي من شأنه وضع « حد للانعزال والتمييز العنصري في دولة [اسرائيل] » . وفي « نداء من اجل التعقل في العلاقات العربية — الاسرائيلية » يدعو يهوشوا بار — هيللل ، استاذ المنطق وفلسفة العلوم في الجامعة العبرية في القدس، جيران اسرائيل العرب ان يقبلوا بوجود دولة اسرائيل وان يكيفوا انفسهم للعيش معها بسلام . وبالمقابل يؤكد ان على اسرائيل ان تتخلى عن اي نوع من التوسع وان تخلص نفسها من مبادىء الصهيونية الرسولية . ولا يقدم اي من المساهمين في هذا الكتاب اي حل سهل وجاهز لقضية فلسطين المأساوية ، علما بأنهم يعالجون الازمة المستمرة من زوايا عدة . وعلى اي حال ، يظهرون جميعا اهتماما عميقا بالقضية وبحالة كل من اليهود والعرب .

لقد صنفت المقالات في هذا الكتاب في ثلاثة أقسام، لكل منها مقدمة كتبها المحرر . وفي القسمين الاولين ، اي : « ازمة الشرق الاوسط من خلال المنظار التاريخي » و« نظرة شخصية على الازمة » هناك عرض موجز لتاريخ العلاقات العربية — اليهودية كأساس ممكن للصلح ولتغيير الانطباع السائد بأن العلاقات العربية — اليهودية تميزت عبر تاريخها الطويل بالكراهية المتبادلة والصراع المستمر . اما في القسم الثالث : « تأملات عامة حول الازمة » ينظر ارنولد توينبي وجساك بيرك وغيرهما الى الازمة « بتجرد وليس بلا مبالاة » ، كما يقول المحرر . وفي الحقيقة ، ان هذا التجرد، الذي يخلو من اللامبالاة ، هو الذي يجعل للكتاب قيمة كما يجعلنا نشعر انه صدر في الوقت المناسب.

خلدون ساطع الحصري